الصراع الديني على شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

«بواعثه - أبعاده - آثاره»

د. بكر زكي عوض
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة

التعريف بالبحث

الجزيرة العربية مهبط الوحي عبر التاريخ، منها خرج أنبياء وإليها هاجر أنبياء ومنها أرسلت رسل لهداية البشرية، كما تميزت بموقعها الجغرافي لإطلالها على المياه من ثلاثة جوانب ولتضمنها مواقع استراتيجية من ناحية ثانية، مما جعل الأبصار تتطلع إليها عبر التاريخ وإن تفاوتت البواعث فهل استطاعت تحقيق ما تريد؟ هذا ما عالجه البحث في الفترة الزمنية من منتصف القرن الرابع الميلادي حتى منتصف القرن السابع الميلادي تقريبا.

والله من وراء القصد.

مقدمة البحث

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله الذي اصطفاه الله من العرب تكريما لهم وتخليدا لذكرهم وجعل ذلك منّة عليهم (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)(١).

وأنزل عليه قرآنا يتلى إلى قيام الساعة فيه التخليد له ولقومه (وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ)(٢) وأمرنا بتدبره في آيات عدة حتى نهتدي في مسيرتنا في هذه الحياة (قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(٣).

وبعد

فان العلم بأخبار السابقين من فروض الكفاية . فكم وردت آيات تحث المسلمين على السير والنظر ، كما وردت آيات أخرى تأمر بذكر القصص الهادف أو تذكره في بعض الأحيان لأخذ الحيطة والحذر والاعتبار .

وكم ربط القرآن بين بعض المواقف زمن التنزيل وبين مواقف أخرى سبقت عصر التنزيل كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر لأصحابه بعض أخبار السابقين في بعض المواطن للتأسي والاعتبار حينا وللاقتداء أحيانا أخرى ولعلّه مراد الرسول من حديثه (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)(٤) .

ومن الإشارات التي وردت في القرآن الكريم ، حديثه عن الصراع بين الفرس والروم زمن النبوة ، ومحاولة أصحاب الفيل ـ حلفاء الروم ـ السيطرة على البيت الحرام ، وهزيمة هؤلاء شر هزيمة مع لفت نظر قريش والمسلمين إلى هذه النعمة كما أشار إلى رحلتي الشتاء والصيف وأثرهما في يسر العيش لأهل مكة .

(١) سورة التوبة ١٣٨

(٢) سورة الزخرف ٤٤

(٣) سورة المائدة ١٥ ، ١٦

(٤) الحديث : صحيح البخارى ك الأنبياء والترمذى ك العلم ومسند أحمد ٢/ ١١٩ .

وفي عصرنا الحاضر بدأ كثيرون يعيدون النظر في التاريخ القديم في ضوء ما ورثناه من كتب وما اكتشف من آثار وماحل من رموز، مع تغليب الجانب العقلي على الجانب العاطفي حين الكتابة وتقديم النظرة الشمولية على النظرة الجزئية عن طريق الجمع بين الروايات المتعددة والنظر في الكتابات المتباينة عقدياً أو سياسياً مع التماس الدلائل لترجيح ما يذهبون اليه. حتى بدت كتاباتهم أقرب إلى المعقول منها إلى بعض المنقول وبخاصة إذا تنزهت البحوث عن الأهواء.

وهذا البحث يعالج قضية الصراع الديني المسيحي على الجزيرة العربية قبل الإسلام من كافة الجوانب (السياسية والإقتصادية والإجتماعية) في غير فصل بين الأحداث وأهدافها المتعددة، بمثل ما أعرض كتاب السيرة عن بعض البواعث والأهداف وفعل بعض السياسيين مثل ذلك وشاركهم في هذا بعض الاقتصاديين، فكانت الكتابات في بعض الأحيان موجهة بدءا أو قبل البدء فيها.

كما يشير هذا البحث إلى مكانة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام لدى الفرس والروم بخاصة وإن لم يدرك بعض العرب قيمة موقعهم بمثل ما أدرك أولئك تلك القيمة. كما يؤكد تطلع هاتين الدولتين إلى تلك المنطقة عن طريق الاستيلاء أو المعاهدات والأحلاف أو الزج بآخرين لتحقيق مآربهم في تلك الديار لما لموقع هذه الجزيرة من أهمية سياسية وإقتصادية قبل الإسلام.

وقد استعان الروم بالدين لتحقيق مآربهم فأرسلوا من ينشر المسيحية ونصروا الجماعات المسيحية في اليمن ونجران ووقعوا حلفا لتنصير مكة ــ لم يكتب له النجاح ـ فضلا عن محاولة تنصيرها بقوة السيف إلا أن الله هزم أبرهة فلم تنصّر مكة وإن فشت النصرانية في الأطراف الشمالية والجنوبية في شبه الجزيرة. كما اعتنقها بعض الأفراد في مكة ومنهم من كان نصراني المولد.

وقد اعتمد الروم في نشر المسيحية في شبه الجزيرة على طريقتين:

الأولى : عن طريق الأفراد معتمدين على الحيل وخوارق العادات.

الثانية: الاستعمار مع الإكراه العقيدي ورد كل عادية على النصرانية في الجزيرة العربية.

وقد بدأت حركة التنصير منذ منتصف القرن الرابع الميلادي يدفع الروم إلى ذلك أمران:

الأول: بعد تبني قسطنطين النصرانية ثم تنصره أذن بها تعميما ونشرا لما لذلك من آثار إيجابية في الحروب فضلا عن المكاسب السياسية والاقتصادية من جراء النشر وقد تبعه في ذلك خلفاؤه في الحكم.

الثاني: إيمان المسيحيين بعالمية المسيحية كما تصوره نصوص العهد الجديد نظرياً وعملياً ولم يمض سوى قرنين حتى كادت المسيحيةأن تسيطر على كثير من بلدان شبه الجزيرة وكانت نعمة الله على أهل الجزيرة خاصة وعلى الناس عامة بالإسلام الذي رد عادية النصرانية عن الجزيرة أولا ثم أخرج المسيحية من الجزيرة ثانياً فضلاً عن إعلاء منزلتها ولفت نظر البشرية إليها منذ ظهر وإلى يومنا هذا. حيث فرض شعيرة لاتؤدي إلا في ديارها وفي بقاع محددة منها كما أمر المسلمين بالتوجه إلى الكعبة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كعنصر ربط بين المسلمين.

فهل يعتبر المسلمون من أحداث الماضي ويدركون فضل الإسلام فينتفعون به في الحاضر فالأرض هي الأرض وإن اكتسبت جمالا عن ذي قبل والموقع هو الموقع وإن اكتسب قيمةعن ذي قبل والصراع هو الصراع وإن اختلفت المسميات عن ذي قبل، والله نسأل أن يحفظها في زماننا بما حفظها به في صدر الإسلام. آمين.

عالمية المسيحية كما وردت بالعهد الجديد

وردت نصوص عدة تصرح بعالمية المسيحية زماناً ومكاناً وإنساناً وقد تفاوتت الدلائل على ذلك. فمنها ما ينسب الى عمل المسيح عليه السلام ومنها ما ينسب إلى وصايا المسيح لتلاميذه ومنها ما يتعلق بعدم نسخ شريعة المسيح إلى قيام الساعة ومنها ما يتعلق بعودة المسيح إلى الأرض مرة ثانية ليحاسب كل من لم يؤمن به... الخ

ويمكن بيان ذلك من خلال نصوص العهد الجديد فيما يلي:

أولا: عمل المسيح ودلالته على العالمية:

كثرت النصوص التي تصرح بأن المسيح كـان يتحـرك في أمكنة عـدة بهدف نشر المسيحية وإذا كان المؤرخون يقصرون حركة المسيح على منطقة فلسطين فإن النصوص قد وردت بصيغة العموم ومنها .

١ ـ مانسب إلى المسيح أنـه كان (يطوف المدن كلهاوالقـرى يعلم في مجامعها ويكرر في بشارة الملكوت . . .)[٥]

٢ ــ «ولما أكمل يسوع أمـره لتلاميـذه الاثنى عشر انصرف من هناك ليعلم ويكـرز في مدنهم ويكـرز ببشارة الملكوت هـذه في كل المسكونـة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى»(٦) .

ثانيا: وصايا المسيح لتلاميذه بنشر الرسالة لسائر أرجاء الأرض

ويبدوا أن فكرة عالمية المسيحية كانت تراود مدوني الأناجيل ومؤلفي أعمال الرسل حتى إن الانسان ليلحظ كثـرة النصوص الدالـة على العالميـة وتقاربها من حيث اللفظ والمعنى نذكر من هذه النصوص مايلي :

(أ) ورد في متى : أن المسيح كـــان يــرسل رسـلا للبـــلاغ ويــرسم لهم المنهج ومن النصوص : «هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصـاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مـدينة السـامريين لا تدخلـوا . بل اذهبوا بـالحريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضـالــة وفيها أنتم ذاهبـون اكـرزوا قـائلين إنـه قـد اقترب ملكـوت السموات . . وأي مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق ، وأقيموا هناك حتى تخرجوا وحين تـدخلون البيت سلموا عليه . فـان كان البيت مستحقا فليأت سلامكم عليـه . . ومن لايقبل ولايسمع كلامكم فـاخرجوا خـارجا من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم . . .)[٧] .

---

(٥) متى ٩/ ٣٥

(٦) متى ١١/ ١

(٧) متى ١٠/ ٥ــ١٥ .

ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإني الحقّ أقول لكم لاتكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الانسان . . .)[٨] .

كما يدعى النصارى أن المسيح بعد قيامه من قبره قال لتلاميذه (رفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس . . . [٩] .

كما ينسب إليه أنه قال في حق المرأة التي سكبت الطيب على رأسه (ألحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الإنجيل في العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها . . .)[١٠] .

(ب) ورد في مرقس : مايفيد العموم كذلك ومن النصوص : ما ينسب إلى المسيح بعد قيامته من قبره (ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام . وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن . . ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله . وأما هم فخرجوا فكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة . . .)[١١] .

وينسب إلى المسيح أنه في حال حياته (دعا الاثنى عشر وابتدأ برسلهم اثنين اثنين وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة . . فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضي كثيرين فشفوهم . . واجتمع الرسل إلى يسوع وأخبروه بكل شيء كل مافعلوا وكل ما علموا . . .)[١٢] .

ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه وأقام اثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين)[١٣] .

(جـ) ورد في لوقا : ودعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع

(٨) متى ١٠/ ٢٣
(٩) متى ٢٨/ ١٨ , ١٩
(١٠) متى ٢٦/ ١٣
(١١) مرقس ١٦/ ١٤ـ٢٠
(١٢) مرقس ٦/ ٧ , ١٢ , ٣٠
(١٣) مرقس ٣/ ١٣ـ١٥

الشياطين وشفـاء أمراض وأرسلهم ليكـرزوا بملكوت اللـه ويشفوا المرضى . . فلما خرجوا كانوا يجتـازون في كل قرية يبشرون ويشفون في كل موضع ولما رجع الرسل أخبروه بجميع مـا فعلوا فأخـذهم وانصرف منفردا إلى مـوضع خلاء . . وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضا وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينـة وموضع حيث كـان هو مـزمعا أن يأتي . . الـذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذ لكم يرذلني . والذي يرذلني يرذل الذي ارسلني فرجع السبعون بفرح قائلين : (يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك . . .)[١٤] .

كما نسب إليه أنـه بعد قيامتـه من قبره رأى تلاميـذه (وقال لهم هكذا هـو مكتوب وهكـذا كـان ينبغي أن المسيح يتألم ويقـوم من الأمـوات في اليوم الثـالـث . وأن يكـرز باسمـه بالتوبـة ومغفرة الخطايـا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم وأنتم شهـود لذلك . هـاأنـا أرسل اليكم مـوعـد أبي . فأقيمـوا في مـدينـة أورشليم إلى أن تلبسـوا قـوة من الأعالي . .)[١٥] .

«كما ورد أن المسيح بعد قيامتـه من قبره رأى تلاميذه» وقال لهم هكـذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليـوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتـوبة ومغفـرة الخطايـا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم وأنتم شهـود لذلك وهـا أنا أرسل إليكم مـــوعـــد أبي . . فأقيمـــوا في مـدينـــةأورشليم إلى أن تلبســـوا قـــوة من الأعالي[١٦] .

ثالثاً: عدم نسخ الشريعة

يرى النصـارى أن المسيح أتى متمما لرسالـة موسى عليه السـلام دون أن يغير شيئا فيها (مـاجئت لأنقص بل لأكمل . . [١٧] وأعلن عن رسالتـه بقوله (السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لايزول)[١٨] .

---

(١٤) لوقا ١٠/١ , ١٦ , ١٧
(١٥) لوقا ٢٤/٤٦ : ٤٩
(١٦) لوقا ٢٤/٤٦ : ٤٩
(١٧) متى ٢٧/ ٤٠
(١٨) متى ٢٤/ ٣٥ ونفس النص لوقا ٢١/ ٢٣

رابعاً: عقيدة رجعة المسيح وعالمية المسيحية

وردت نصوص عـدة في العهد الجديد تصرح بعـودة المسيح إلى الأرض مرة ثـانية وهذه النصوص تجمع بين الإجمال والتفصيل. فبينما تصرح بعض النصوص أن المسيح سيأتي في فترة زمنية وجيزة من صلبه. كما يزعم النصارى. وذلك قبل أن يموت بعض مشـاهديـه صرحت نصوص أخـرى بأنـه سيأتي لكي يدين الأحيـاء والأموات لعـدم إيمانهم بـه أو للتقصير في نشر رسالتـه ويمكن ذكـر بعض النصـوص الدالـة على ذلك فيمايلي:

١ - نصوص مجملة: تبعث الأمل في العودة و الثبات على الرسالة والاشتغال بالنشر، ومنها:

— «ألحق أقـول لكم إن من القيام هـا هنا قـوما لايـذوقون الموت حتى يـروا ابن الانسان آتيا في ملكوته»(١٩).

— «فإني الحق أقول لكم لاتكلمون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الانسان»(٢٠).

— «وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيـام ههنا قوما لايـذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة»(٢١).

— عندما سأل بطـرس المسيح عن منزلة سمعان (أحد الحواريين) ومـاذا أعد له؟ (قال له يسوع إن كنت أشـاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك اتبعني أنت. فزاع هـذا القول بين الأخـوة أن ذلك التلميـذ لايمـوت ولكن لم يقل لـه يسوع إنـه لايموت بل إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك...)(٢٢).

٢ ـ نصوص مفصلة تبين علة المجيء وحكمته ومنها:

— ينسب إلى المسيح قـوله (فإن ابن الإنسـان سوف يأتي في مجد أبيـه مع ملائكتـه وحينئـذ يجازي كل واحد حسب عملـه. ألحق أقـول لكم إن من القيام ههنـا

(١٩) متى ١٦/٢٨

(٢٠) متى ١٠/٢٣

(٢١) مرقس ٩/١

(٢٢) يوحنا ٢٠/٢١ـ٢٣

قوما لايذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا في ملكوته . . .)[٢٣] .

— (ومتى جاء ابـن الإنسان في مجـده وجميـع الملائكة القديسيـن معـه فحينئـذ يجلس عـلى كـرسيِّ مجده ويجتمع أمامـه جميع الشعـوب فيميـز بعضهم مـن بعض كما يميـز الـراعي الخراف من الجداء . فيقيم الخراف عن يمينـه والجداء عن اليسار . . .)[٢٤] .

— ورد في سفر أعمال الـرسل أن المسيح ظل يظهر للتـلاميذ أربعين يـوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله ، أما المجتمعون فسألوه قائلين يارب هل في هـذا الوقت تـرد الملك إلى إسرائيل . فقـال لهم ليس لكم أن تعـرفوا الأزمنـة والأوقات التي جعلها الأب في سلطانه . لكنكم ستنالون قوة من حلول الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودا في كل أورشليم وفي كل اليهودية وا لسامرة وإلى أقصى الأرض)[٢٥] .

أثر الإيمان بعالمية المسيحية على المسيحيين

لقد كان للنصوص السـابقة أثرها على أتباع المسيح عليـه السلام . ويبدو أن فكرة عـودة المسيح قبل أن يمـوت بعض التـلاميـذ الـذين عـايشـوه وقبل أن تكتمل مـدن إسرائيل ـ تبشيريا ـ لأجل الدينونة كان لها دور فعال في أن ينهض التلاميذ بالدعوة بعد الصلب والقيامة ـ كما يزعم النصارى ـ إلى المسيحية .

وقد ذكر مدونوا العهد الجديد أن التلاميذ قد جمعوا أنفسهم ورتبوا شئون الكنيسة في فترة زمنيـة وجيزة للغـاية بهدف التحـرك بالمسيحيـة في بلاد الشـام بأثرهـا . إلا أن دعوتهم قـد اصطدمت مرة ثانيـة باليهود ، كما لاقت مقـاومة فعالة من الـروم الوثنيين الـذين كـانـوا يخضعـون منطقـة الشـام لنفـوذهم في ذلك الحين ، وقـد خشي حكـام الولايات التابعون للحاكم العـام الوثني (قيصر) من انتشار المسيحية . وحتى لاتؤدي إلى حركـة تمرد على حق الحاكم(الوثني) من قبل المسيحيين (الموحدين) كانت حـركة

(٢٣) متى ١٦/ ٢٧, ٢٨
(٢٤) متى ٢٥/ ٣١ــ٣٣
(٢٥) أعمال ١/ ٦ــ٨

الاضطهاد التي بدأت من منتصف القرن الأول للميلاد ولم ترتفع إلا مع مطلع القرن الرابع الميلادي.

ويدعى النصارى أن حركة الاضطهاد تلك كانت بعناية الرب ورعايته، لأنها أكسبت المسيحيين قوة ولفتت نظر الآخرين إليهم وأعجب كثير من الوثنيين بصلابة اعتقاد النصارى وبخاصة إذا ماخُيِّروا بين الحرق أو التخلي عن الدعوة فكان الحرق أحب إليهم من الدعوة إلى الوثنية. كما أن الإلقاء إلى السباع الجوعى وطلاء الأفراد بالقار وإيقاد النار فيهم في الميادين العامة ومشاهدةحكام الرومان ـ بالتتابع ـ لتلك المشاهد كان بمثابة الدعاية إلى المسيحية من طرف خفي.

إلا أنه أمام حركات الاضطهاد تلك قد استطاع بعض المسيحيين أن يُنَصِّر أفراداً من خارج منطقة الشام في ذلك الوقت. فكتاب العهد الجديد يذكرون أن أحد الرسل واسمه (فيلبس) قد ظهر ملاك الرب له «قائلا قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة التي هي برية. فقام وذهب وإذا رجل حبشي خصي وزير لكنداكة ـ ملكة الحبشة ـ كان على جميع خزائنها. فهذا كان قد جاء إلى أورشليم ليسجد. وكان راجعا وجالسا على مركبته وهو يقرأ النبي أشعيا ـ فقال الروح لفيلبس تقدم ورافق هذه المركبة.

فبادر إليه فيلبس. . وفيما هما سائران في الطريق أقبلا على ماء. فقال الخصى هو ذا ماء ماذا يمنع أن أعتمد. فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله. فأمر أن تقف المركبة فنزل كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده، ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصى أيضا. وذهب في طريقه فرحاً وأما فيلبس فوجد في أشدود وبينما هو مجتاز كان يبشر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية[٢٦] وبذلك بذرت بذور المسيحية في بلاط الحكم في بلاد الحبشة.

كذلك هرب بعض المسيحيين الموحدين إلى الاسكندرية فنشروا المسيحية بها على أساس من التوحيد حتى إن آريوس الاسكندري كان له دور بارز في مجمع نيقية

---

(٢٦) أعمال الرسل ٨/ ٢٦ : ٣٩

(٣٢٥م) في الدعوة إلى الإيمان بإله واحد هو الله وإلى الإيمان ببشرية المسيح ونبوته[٢٧] . . مما يدل على سلامة الفكر الديني المسيحي المصري في ذلك الوقت عند كثيرين وإن وجدت آراء مضادة لذلك الرأي أيضا .

الجزيرة العربية والنصرانية

لم تشر كتب التاريخ والسير إلى أن المسيحية قد دخلت شبه الجزيرة العربية في القرون الثلاثة الأولى للميلاد وإنما بدأت حركة التنصير فيها بعد أن أصبحت المسيحية دينار سميا لروما بعد تعميد قسطنطين وتبني الدولة حركة التنصير واتخاذها المسيحية سبيلا لتحقيق الأهداف والمطامع السياسية في بلاد مصر والحبشة وشبه الجزيرة العربية . وقد فشت فيها المسيحية من طريقين :

الطريق الأول : تبشيري أو تنصري .

الطريق الثاني : استخدام السيف كوسيلة للتنصير .

وسبل الطريق الأول تجلت في هجرة بعض الرهبان الى شبه الجزيرة العربية وخروج بعض العرب لطلب أحب الأديان إلى الله والتجارة ومن وإلى بلاد الشام والتجارة من وإلى بلاد الحبشة وقيام بعض النصارى بديار العرب لأسباب متعددة . . . الخ .

وسبيل الطريق الثاني تجلى في التماس الأسباب لإكراه الناس على التنصر أوحمل الناس على ترك التهود فضلا عن اتخاذ الدين ستارا لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية وهو مايتمثل في فتح اليمن وغزو مكة بمساندة قيصر الروم وتنفيذ ملوك الحبشة الذين كانوا خاضعين لإمرة الروم في ذلك الوقت .

ومن البلدان التي دخلتها المسيحية من طريق التبشير ـ في شبه الجزيرة مايلي :

١ ـ اليمن في الجنوب : والتي تسربت إليها مباديء النصرانية على المذهب المنوفيزتي[٢٨] من عهد قديم . وربما كان المرسلون السوريون قد قصدوا اليمن في

---

(٢٧) راجع المجمع بالتفصيل فى تاريخ الأقباط زكى شنودة ، تاريخ الكنيسة يوسابيوس القيصرى
(٢٨) يرى أتباع هذا المذهب أن المسيح عليه السلام ذو طبيعة واحدة لاهوتية تجلت فى شخص إنسان .

أزمنة مجهولة لدينا فرارا من الاضطهاد. وكانت أول سفارة نصرانية إلى الجنوب تلك التي أوفدها الإمبراطور قسطنطين سنة (٣٥٦م) يرأسها ثيوفيلس إندسي الأريوسي (على مذهب آريوس) الذي أنكر لاهوت المسيح، وأهم البواعث الداعية إلى هذه الإرسالية توضحها الحالة السياسية بين الدول آنئذ والمنافسة بين الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية إذ نشطت كل منهما إلى توطيد هيبتها في جنوبي الجزيرة وأفلح ثيوفيلس في إنشاء بيعة في عدن وبيعتين في أرض حمير(٢٩).

٢ - نجران في جنوب الجزيرة العربية دخلتها المسيحية على يد راهب يسمى (عبدالله بن التامر) نسب المؤرخون إليه كثيراً من خوارق العادات كإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى والنجاة من النار وقبوله كل تحد على قتله... وقد ذكر بعض كتاب السير أن ابن التامر (كان رجلاً صالحاً من نصارى الشام ويظهر من سياق الأخبار أنه ممن فر بدينه هاربا من أرض الرومان. إمّا لاضطهادهم النصارى أو لمحاولة مزج المسيحية ـ من قبل الرومان ـ بالفكر الوثني(٣٠).

وقيل إن ابن التامر هذا عربي وأنه اعتنق المسيحية على يد راهب يسمى (فيمون) كان يقطن نجران بعد الفرار إليها وقد شاهد ابن التامر منه عجائب وغرائب جعلته يعتنق المسيحية ويظهر بها خوارق العادات حتى آمن بالمسيح على يديه كثيرون(٣١).

وقد دخلت المسيحية نجران في فترة زمنية متأخرة عن دخولها إلى اليمن (فقد كانت مركزا للنصرانية في جنوب شبه الجزيرة منذ أن تمكن (فيميون) الراهب من نشر المسيحية بها سنة (٥٠٠م) وأسس بها كنيسته على المذهب المونوفيزيتي... ولعلهاالكنيسة الكبرى التي سماها العرب (كعبة نجران) وكانت مقامة من أدم من ٣٠٠ جلد وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل. وفيها يقول الأعشى:

وكعبة نجران حتم عليـ ـك حتى تناخي بأبوابها

(٢٩) تاريخ العرب (مطول) ١/ ٨٠ د/ قليب حتى وآخرين ط ٣/ ١٩٦١ دار الكشاف للنشر والطباعة
(٣٠) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١١٩ والبداية والنهاية ٢/ ١٦٨ وخاتم النبيين ١/ ٥٧.
(٣١) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٢١ ـ ١٢٢ وسمط النجوم العوالى ١/ ٢٣٥.

تـــزور يـــزيــــدا وعبدالمســـــيح وقيســــــاهم خيـــــــر أربــــابها
وشـــاهـــدنــا الـــورود والياسمـــ ـــين والمسمعـــــات بقصـــابها[٣٢]

ولقد بقيت للنصرانية بنجران بيعة واحدة معروفة إلى الأزمنة المتأخرة. وإلى هؤلاء النصارى المقيمين بنجران أرسل يعقوب السروجي (ت٥٢١م) كتابا بالسريانية يحثهم فيه على الجهاد الروحي ثم جاء الإسلام فأجلى عمر النصارى[٣٣] من نجران.

ويبـدوا من كتـابـات المؤرخين أن هــذين الشخصين قـد لعبـا دورا كبيرا في نشر المسيحية بنجران وأنها تنسب إليهما معا وإن كان لفيميون فضل السبق على ابن التامر في بعض الروايات التي أثبتت أنه سمعه وتأثر به واعتنق دينه ثم اشتغل بنشره. بينما تذكر بعض الـروايات أن ابن التـامر أتى من بـلاد الشام مبـاشرة فارا بـدينه حتى استـوطن نجران. إلا أن قصـة اعتناقه للنصرانيـة ـ كما ذكرهـا المؤرخون العرب ــ تؤكد كـونه عربيـا اعتنق النصرانية بعد أن أعجب بخـوارق العادات من قبل فيميمـون. ثم باشر نفس المنهج في الدعوة إلى المسيحية.

٣ ـ مكــــة أقام بهـــا بعـض النصـارى كما تنصر بعض المكيين إلاّ أن هـؤلاء لم ينشروا المسيحيـة أو يحرصوا على نشرهـا لأن وضع مكـة الديني مـاكـان ليسمح بانتشـار المسيحية فيها نظـرا للعادات والتقاليد الدينيـة الوثنية وأثرهـا على الناشئة. كما أن النصارى يميليون إلى إقامة بيع لهم وهــو من الأمور التي تتعارض مع منزلة البيت الحرام مع أن الـرغبة في تنصيرهـا كانت نصب عين قيصر الـروم سواء عن طـريق الغزو أو التحالف كما سيتضح بعد.

ويبـدو من خلال كتب السيرة والتـاريخ أن بعض النصارى قـد أقام بها بينما كـان البعض الآخر يـزورها ثم يـرجع. يقول ابن إسحـاق (وكان بمكة رجـل قبطي نجار فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها ـ أي الكعبة ـ ثم ذكر قصة السفينة التي ألقى بها البحر حين تهدمت الكعبة وقيام ذلك القبطي بصناعة سقفها[٣٤].

---

(٣٢) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ١١٧
(٣٣) تاريخ العرب (مطول) ١/ ٨١
(٣٤) الطبرى ٢/ ٢٨٧ والبداية والنهاية ٢/ ٣٠١ تاريخ العرب (مطول) ١/ ٣٢٦

ونقل ابن كثير عن أبي نعيم أنه (كان بمر الظهـران راهب من الرهبان يدعى عيصا من أهل الشام وكان متخفرا بالعاصـي بن وائل وكان الله قد أتاه علماً كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورفـق وعلم. وكان يلزم صومعة لـه ويدخل مكة في كل سنة فيلقي النـاس ويقول: إنه يـوشك أن يولد فيكم مولـود يا أهل مكة يـدين له العـرب ويملك العجم هذا زمـانه. ومن أدركـه واتبعـه أصاب حـاجته ومن أدركـه فخالفه أخطأ حاجته..)[٣٥].

وكـان الـرق سبيـلاً من السبل التي مكنت بعض النصـارى من الإقـامـة بمكـة وبخاصـة الأرقاء الذين أتوا من بـلاد الروم أو الشام أو الحبشة وقـد أكره بعضهم على الوثنية بينما بقـى البعض الآخر على المسيحية.. إلا أن المسيحية قد بقيـت رهينة لغتها السريانية أو الرومـانية فلم تنتشر انتشاراً ملحوظا.. وكل الذين اعتنقـوها من العرب هم الذين كـانوا على صلة بـاللسان الأعجمي[٣٦]. فلم ينشر كتـابهم المقدس لأنـه لم يكن قد ترجم إلى اللغة العربية وكذلك طقوسهم الدينية لم تؤد في تلك المدينة[٣٧] التي كانت الطقـوس فيها قاصرة على الوثنيـة. وقد كان لـلأسواق التجارية في مكـة دورها كذلك في إتيان كثيرين من النصارى بتجـارة إلى تلك الديار وبعضهم اتخذ له بها ضيعا كما أن حركة القرشيين التجارية إلى الشام واليمن قد اطلعتهم كثيراً على النصرانية دون أن يكون لها أثـر يذكر. إذا ما استثنيـا أفرادا معدودين حرصـوا على طلب الدين الحق فانسـاحو في الأرض يطلبـونه فمنهم من تنصر كورقـة بن نوفل (وهـو ابن عم خديجة وكان يكتب الكتاب العبراني من الإنجيل بـالعبرانية ماشاء اللـه أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى)[٣٨].

ويقال إن سبب تنصره ـ أي ورقة ـ أنـه وزيد بن عمر بن نفيل وعثمان بن الحويرث قد خـرجوا إلى الشمال فتنصروا إلا زيـدا فإنه لم يدخل في شيء مـن الأديان بل بقى على فطـرتـه مـن عبـادة اللـه وحـده لاشريك لــه متبعـا مـا أمكنـه مـن دين إبـراهيم على

(٣٥) البداية والنهاية ٢/ ٢٧٢

(٣٦) التعميم غير مسلم فى الحكم به

(٣٧) فى الفكر الدينى الجاهلى د/ محمد الفيومى ص ٨٨

(٣٨) البخارى ١/ ١٨ ــ ٢٢٣ مسلم ٩٧٨ ــ ٩٨ ط الشعب

ماذكرناه[٣٩] .

وتشير المصادر العربية إلى وجود عدد من تجار الروم في مكة نزلوها وأقاموا بها واتخذ بعضهم موالي لأشراف أهل مكة مثل نسطاس مولي سفيان بن أمية ويوحنا مولى صهيب الرومي وصهيب الرومي نفسه وكان مولى لعبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب وكان أسيرا في أرض الروم وكان بمكة قبطا من مصر وكان من الروم من انْدَسَّ بين تجار مكة بغية التجسس على العرب وتسقط أخبار الفرس وصلاتهم بالعرب. كما توافد على مكة تجار من الروم و الفرس ساكنوا المكيين وتحالفوا مع أثريائهم[٤٠] .

عثمان بن الحويرث والرغبة في تنصير مكة:

خرج عثمان بن الحويرث من مكة حتى قدم على قيصر وقد رأى موضع حاجتهم إليه ومتجرهم من بلاده فذكر له مكة ورغبه فيها وقال: تكون زيادة على ملكك كما ملك كسرى صنعاء فملّكه عليهم وكتب له إليهم. فلما قدم عثمان إليهم قال: إن قيصر من قد علمتم. أمانكم ببلاده وماتصيبون من التجارة في كنفه وقد ملكني عليكم وإنما أنا ابن عمكم وإنما آخذ منكم الجراب من القرظ والعكة من السمن والإهاب فأجمع ذلك ثم أبعث به إليه. وأنا أخاف إن أبيتم ذلك أن يمنع منكم الشام فلا تتجروا به ويقطع مرفقكم منه فلما قال لهم ذلك خافوا قيصر. وأخذ بقلوبهم ما ذكر من متجرهم فأجمعوا على أن يعقدوا على رأسه التاج عشية وفارقوا على ذلك. فلما طافوا عشية بعث الله إليه ابن عمه أبا زمعة الأسود بن عبدالمطلب بن أسد فصاح على أحفل ما كانت قريش في الطواف فقال: عباد الله. ملك بتهامة؟ فانحاشوا إليه انحياش حمر الوحش ثم قالوا: صدقت واللات والعزى ماكان بتهامة ملك قط. فانتقضت قريش عما كانت قالت له ولحق بقيصر يعلمه، ثم روى الزبير بسنده أن قيصر حمل عثمان على بغلة عليها سرج الذهب حين ملكه وأعطاه كتابا مختوما بالذهب من أسفله فلما أبت قريش الاستجابة لدعوته خرج إلى قيصر مرة ثانية وكان بعض التجار القرشيين بالشام فسألوا عمرو بن جفنة الغساني ـ عامل قيصر ـ أن يفسد على

(٣٩) البداية والنهاية ٢/ ٢٤٣ .

(٤٠) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ٣٦٠/ ٣٦١

عثمان عند قيصر . فسأل عمرو في ذلك ترجمان قيصر . فأخبر الترجمان قيصر عن عثمان سوءاً حتى أوقع بينهما إلا أن عثمان تحيل حتى دخل على قيصر وعرفه ما يقتضي أن الترجمان كذب عليه ومالأ أعداءه فكتب قيصر إلى عمرو بن جفنة يأمره أن يحبس لعثمان من أراد حبسه من تجار قريش بالشام ففعل ذلك عمرو إلاّ أن العرب قد سمُّوا عثمان فمات بالشام(٤١) .

المسيحية في الشمال:

فشت المسيحية في الأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية . ومع أن القبيلتين اللتين وقعتا في شمال الجزيرة كانتا في صراع دائم وحروب مستمرة تتبع أحداهما الدولة الفارسية (الحيرة) بقيادة المناذرة والثانية تتبع الروم (الغساسنة) فقد كان لتنصر الحكام أثره البالغ في نشر المسيحية فقد تنصرت الأسرة المالكة أو أغلبها ــ في الحيرة ـ وكانت بالحيرة بيعة أورد ياقوت الكتابة التي كانت على واجهتها ونصها (بنت هذه البيعة هند أمة المسيح وأم عبده(٤٢) ويذكر المؤرخون أن النعمان كان راغبا في التنصر منذ فترة سابقة على تنصره إلا أنه تخوف من كسرى ملك الفرس أن يعزله كما ينسبون إليه أنه ترهب بعد ذلك وذم الدنيا وزخرفها وقد أنكر بعض المؤرخين اعتناق المنذر للنصرانية وسواء أصح الرأي الأول أم الثاني فإن الذي لاخلاف عليه أن المسيحيين في حكمه قد تمتعوا بحرية الاعتقاد كما يشاءون، وقد روى المؤرخون المسيحيون أن للراهب (القديس سمعان) دوره في تنصر المنذر وإكرامه للقسيسين والرهبان بخرافات ذكروها في كتبهم . . .(٤٣) .

وأما الغساسنة فقد استقروا في نواحي الجنوب الشرقي من دمشق على مقربة من الطرف الشمالي لطريق النقل العظيم الذي كان يربط مأرب بدمشق وكرت الأعوام فإذا غسان قد تنصرت واصطبغت بالصبغة السورية واتخذت الأرامية لغة لها . إلا أنها لم تهجر لسانها العربي الأصلي . . وقبل انقضاء القرن الخامس للميلاد غشت أرض

---

(٤١) البداية والنهاية ٢/ ٢٤٣ ، سمط النجوم العوالى ٢١٣ , ٢١٤ موسوعة التاريخ الإسلامى ١/ ٢٢٢ .
(٤٢) موسوعة تاريخ الإسلام ١/ ١٧٥ ، تاريخ العرب فى الجاهلية ٢٧٩ والعرب قبل الإسلام ٢٦٧ .
(٤٣) تاريخ العبر فى الجاهلية ٢٦٢/ ٢٦٤ ، العرب قبل الإسلام ٢٦٨ .

غسان مؤثرات سياسية أدخلتها ضمن دائرة النفوذ الروماني السياسي وقد قصد الروم بذلك أن يجعلوها حاجزا لرد هجمات البدو . ولما كان من مصلحة الغساسنة السياسية اعتناق النصرانية وهي دين البيزنطيين فقد اعتنقوها على المذهب المونوفيزيتي وقد استقروا أخيرا في جابية الجولان(٤٤) .

كما وجدت أماكن للرهبان في بلاد الشمال للجزيرة العربية بدليل ماورد في كتب السيرة والتاريخ من أحاديث تتعلق بأمر بحيرا الراهب(٤٥) . وميسرة(٤٦) ونسطورا(٤٧) وقصة سلمان الفارسي تشير إلى ذلك وتؤكده(٤٨) .

كما اعتنقت بعض القبائل النصرانية في الشمال (فمن أقدم الحروب البدوية الشهيرة حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب المرتبطتين بصلة القرابة . وقد حدثت في أواخر القرن الخامس الميلادي في الشمال الشرقي من الجزيرة وكانت القبيلتان تدينان بالنصرانية(٤٩) .

النصرانية في يثرب : وجدت قلة قليلة من النصارى استوطنت يثرب وأقامت بها وكان لها نشاط تجاري شبه خاص بها (كما وجد في يثرب سوق يقيمها النصارى من سكانها تسمى (سوق النبط) والمعتقد أن نبط الشام كانوا ينزلون فيها للاتجار بالحبوب(٥٠) .

وقد كانت المسيحية في نجد أكثر انتشارا من اليهودية وكان بنو تغلب وجماعة من بني أسد من نصارى العرب . . ويبدو أن أول من تنصر من ملوك كندة هو معديكرب الكندي الملقب بـ «ذي التاج الأوضح) . . ونعتقد أن ولديه الأسود بن معديكرب بن الحارث وقيس كانا مسيحيين(٥١) .

(٤٤) تاريخ العرب (مطول) ١/ ١٠٣
(٤٥) الطبرى ٢/ ٢٧٨ ــ ٢٧٩ والبداية والنهاية ٢/ ٢٥٤ــ٢٨٥
(٤٦) الطبرى ٢/ ٢٨٠ وحدائق الأنوار ١/ ٣٣
(٤٧) الطبرى ٢/ ٢٨٠ــ٢٨١ والكامل ١/ ٢٣٢
(٤٨) ابن هشام ١/ ٢١٤ ــ ٢٢٢ وسبل الهدى والرشاد ١/ ١٢٢ ــ ١٣٠ وحدائق الأنوار ١/ ١٢٣
(٤٩) تاريخ العرب (مطول) ص ١/ ١٢٠
(٥٠) تاريخ العرب القديم ٢٤٨
(٥١) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ٣٣٤م/ ٣٣٥ .

استخدام القوة لنشر المسيحية في بلاد العرب

حرص القياصرة على إخضاع شمال وغرب وجنوب الجزيرة العربية لسلطانهم باستخدام السيف ويمكن ذكر موقفين من مواقف الروم العسكرية لتنصير تلك الديار يدفعهم إلى ذلك أهداف دينية وسياسية واقتصادية كما سيتضح فيما يلي .

أولا: المسيحية في اليمن ودور الروم فيها

تمتعت اليمن في التاريخ القديم بموقع استراتيجي للغاية فلقد كانت همزة الوصل بين العرب والهند وبين العرب والأحباش وبها أقيم سوق تجاري بين العرب والعجم حيث تبادل البضائع وقد أدرك الرومان والفرس قيمة اليمن وقدرها فحرصت كل دولة على أن تكون لها السيادة عليها إلا أن بعد اليمن عن الفرس وضعف الفرس في ذلك الوقت حال دون إخضاع اليمن لنفوذهم بينما رأى الرومان أن في فتح اليمن سياسيا ودينيا كسباً كبيراً لهم فلما يسرت أسباب الغزو لم يترددوا لحظة عن التنفيذ .

أسباب غزو الأحباش لليمن ودور روما فيه :

لم تكن محاولة تنصير اليمن على يد الأحباش هى الأولى بل أنها سبقت بمحاولة قبل ذلك فى القرن الرابع الميلادى فقد توالت الوقائع بين الأحباش وحمير فى أواسط القرن الرابع الميلادى . جرت فيها معارك كانت الحرب فيها سجالاً وممن وافق الحميريين من ملوك الأحباش ملك اسمه (العلي اسكندر) حارب الهدهاد ملك حمير سنة ٣٤٠ م وخلفه العلى عميدة (حكم من سنة ٣٤٠ - ٣٤٨ م) حارب الهدهاد وبلقيس وفتح اليمن سنة ٣٤٥ م بمساعدة قيصر الروم قسطنطيوس رغبة فى نشر المسيحية وكانت قد دخلت الحبشة من عهد قريب على يد كاهن رومى اسمه فردمنتوس سلموه أسقفاً عليها سنة ٣٥٤ فى أكسوم(٥٢) .

وفى أواخر الربع الأول من القرن السادس الميلادى توجه الأحباش مرة ثانية إلى اليمن لفتحها بعد أن حرص ملك اليمن فى ذلك الوقت (ذو نواس الحميرى) على قتل

---

(٥٢) العرب قبل الإسلام ١٧١/ ١٧٢

كل نصرانى فى نجران إلا أن يتهود. فأبى القوم اعتناق اليهودية فخذلهم الأخدود وأتى بهم عليه وقد أوقد فيه النار وخيرهم بين التهود والحرق فأبوا التهود فألقوا فى الأخدود بسبب تمسكهم بعقيدتهم (وبعد قتل ذى نواس الحميرى) لهؤلاء. يقال أن واحداً منهم يقال له دوس ذو ثعلبان خرج على فرس له ومضى على وجهه حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذى نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم وذلك لأنه نصرانى على دينهم. ويقال أنه أخذ نسخة من الإنجيل محروقة فأطلعه عليها. فقال له - قيصر - بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك. فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره. فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له أرباط ومعه فى جنده أبرهة الأشرم فركب أرباط البحر حتى نزل بساحة اليمن وانتهى الأمر له بالنصر على بلاد اليمن وتملكها(٥٣).

كما ذكر الطبرى رواية ثانية وفيها أن قيصر هو الذى قال للنصرانى من نجران (ولكننى سأكتب إلي ملك الحبشة فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك منا فينصرك ويمنعك ويطلب لك بثأرك ممن ظلمك واستحل منك ومن أهل دينك ما استحل فكتب معه قيصر إلى ملك الحبشة يذكر له حقه ومابلغ منه ومن أهل دينه ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه)(٥٤).

يقال أن الرجل الذى خرج من نجران توجه أولاً إلى النجاشى ملك الحبشة. فأعلمه ما ركبوا به وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النار بعضه. فقال له الرجال عندى كثير وليس عندى سفن وأنا كاتب إلى قيصر في البعثة إلى بسفن أحمل فيها الرجال فكتب إلى قيصر فى ذلك وبعث إليه بالإنجيل المحرق، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة(٥٥).

وهنا يقف العقل متسائلاً: هل ذهب ذلك الرجل إلى قيصر الروم فكتب له إلى نجاشي الحبشة فأرسل النجاشي في طلب سفن من قيصر فأمده أو أنهما رجلان أحدهما

---

(٥٣) الطبرى ٢/ ١٢٧، والبداية والنهاية ٢/ ١٦٩ والكامل ١/ ٤٣١, ٤٣٢ تاريخ العرب (مطول) ١/ ٨٢

(٥٤) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٢٥.

(٥٥) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٢٤

توجه إلى قيصر والثاني إلى النجاشي أوأن الرجل ذهب أولاً إلى نجاشي الحبشة فأرسل النجاشي رجلاً من قبله إلى قيصر يستأذنه في نصرة ذلك الرجل ويطلب منه المدد فأمده . . الله أعلم .

وقد وردت بعض الروايات التى تصرح بأن اليمن قد أرسل لها ثلاث حملات هزمت الأولى وانتصرت الثانية ولكنها لم تخضع لسلطان النجاشى فأرسل لها حملة تأديبية وقيل أرسل لها حملتان هزمت الأولى وانتصرت الثانية وغزت اليمن(٥٦) .

وبهذا يتضح لنا أن فتح الأحباش لليمن كان سببه دينياً بالدرجة الأولى .

وتشير بعض الروايات العربية إلى أن أسباب الفتح كانت سياسية اقتصادية (فلقد كان لتحول ملوك أكسوم إلى المسيحية سنة ٣٢٠م أثره الكبير فى التقارب مع بيزنطة حامية نصارى الشرق وكان الأحباش يطمعون فى السيطرة على اليمن لضمان توزيع البضائع الحبشية دون أن تتعرض للاعتداءات التى كان يمارسها الحميريون وكانت الصلة بين نصارى اليمن - فى نجران - ونصارى الحبشة قوية مما جعل الأحباش يمارسون ضغطاً سياسياً على اليمن من طرق النصارى هناك وهذا ما جعل ذا نواس يربط بين انتشار المسيحية فى اليمن وبين ازدياد النفوذ السياسي للأحباش في البلاد . ولذلك عول على تحميل نصارى نجران عن دينهم بالقوة وعندئذ وجد «كالب» ملك الحبشة فرصته المواتية لغزو اليمن بحجة وضع حد لسياسة ذي نواس التعسفية مع النصارى(٥٧) .

وأما اليونانيون فإنهم ينسبون الفتح إلى أسباب تجارية مالية وذلك أن اليمنيين لما تضعضعت أحوالهم بتقهقر دولتهم وخروج مقاليد التجارة من أيديهم كان الرومان قد أخذوا ينشرون نفوذهم فى الشرق بواسطة النصرانية وتيسر لتجارتهم المرور في بلاد اليمن بين خليج العجم والبحر الأحمر يحملون تجارة الهند إلي الحبشة ثم إلى مصر والعرب يشق ذلك عليهم ولا حيلة لهم في منعهم فجعلوا يضايقونهم فى تسيارهم . وأراد الفرس فى أثناء ذلك أن يعرقلوا مساعى الروم أعدائهم القدامى فى متاجرهم عن

(٥٦) الطبرى ٢/ ١٢٠ , ١٢٧ ، والكامل ١/ ٤٣٢ ، والبداية والنهاية ٢/ ١٦٩ .
(٥٧) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ١٥٠ـ١٥١

طريق جزيرة العرب فنزل جند منهم بشواطىء خليج العجم من جزيرة العرب . فأرسل القيصر «جوستين» إلى بني حمير أن يردوا الفرس عنهم ويبعث من الجهة الأخرى إلى الأحباش أن يأخذوا بيد تجار الروم فى ذلك السبيل . . إلا أن ذلك لم يدم . فعاد العرب إلى معارضة قوافل الروم . . واتفق فى أوائل القرن السادس أن الحميريين تعدوا على تجارة الروم في أثناء اجتيازهم اليمن بتجارتهم الهندية وقتلوا جماعة منهم فتوقفت حركة التجار فشق ذلك على الأحباش فتجندوا لفتح الطريق وقطعوا البحر الأحمر تحت راية ملكهم «هداد» وحاربوا الحميريين وقتلوا ملكهم «دميانوس» (ذانواس) وجددوا المعاهدة مع قيصر القسطنطينية (جستنيان) على شرط أن يتنصر أهل أكسوم وأرسلوا إلى الأسكندرية وفداً يطلب قسيساً يعمدهم ويعلمهم فأرسل لهم رجلاً تقياً عاقلاً اسمة «يوحنا» صار بعد ئذ أسقفاً على أكسوم .

وبعد ما اقتص الأحباش من الحميريين انسحبوا إلى بلادهم ، فعاد الحميريون إلى ماكانوا عليه وعادت التجارة إلى الانقطاع . فأعاد «اليسباسى» ملك الحبشة الكرة وفتح بلاد اليمن فتحاً بحملة كبيرة حارب بها الحميريين وغلبهم على بلادهم وولى عليهم أميراً مسيحياً من أمرائه اسمه (أسيافيوس) (السيفع) ، وأوعز إليه أن يحمل أهلها على النصرانية استنجاداً بالدين على السياسة واستعان بأسقف اسمه (جريجنتوس) كان خطيباً مفوهاً وعالماً كبيراً على أن يبذل جهده فى هذا السبيل ، وعقد مجلساً جمع فيه بين هذا الأسقف وحبر يهودى اسمه (هربان) وأمرهما بالمناقشة فى الدين . فتناقشا وكتب الأسقف بعد ذلك كتاباً نسب فيه الفوز لنفسه . وذكر أعجوبة وقعت من ذلك الأسقف حيث عمى كل الحاضرين من اليهود، فصلى الأسقف والتمس شفاءهم فعادت إليهم أبصارهم فأفحموا وتنصروا[٥٨] .

وبهذا الغزو سنة ٥٢٥ هـ استقرت المسيحية فى اليمن وثبتت أقدامها ولم يتطلع حكامها إلى تنصير اليمن وحدها بل إلى تنصير العرب عن طريق الإكراه . كما تنفس المسيحيون فى نجران الصعداء وقضى على التيار الوثنى واليهودى حتى سنة ٥٧٥ هـ حين طرد اليهود الأحباش من اليمن مرة ثانية .

---

(٥٨) العرب قبل الإسلام جرجى زيدان ١٧٢ ــ ١٧٤ بتصرف .

ثانياً : غزو الأحباش لمكة وأبعاده:

بعد أن استقرت أقدام الحبشة في اليمن وارتـدت إليها النصرانية تطلعت آمالهم إلى غزو مكة وإن تعللوا بعلل واهية لتبرير ذلك الغـزو . والحقيقة أن إرادة غزو مكة قائمة نصب عين الأحباش - عمـلاء الرومان - لأبعـاد دينية وسياسيـة واقتصادية وهـو ما نوضحه فيما يلى :

أولاً : البعد الدينى:

عرفت مكـة منذ عهد اسماعيل بأنها أرض البيت الحرام ولا يخف على أحد مـاكان للبيت من حرمة عند معظم العرب قبـل الإسلام . فضلاً عن وجود معظم آلهتهم به ، وقد أكسب هذا البيت المكيين منزلة كبيرة بين العـرب وإن حملهم عبئاً ثقيلاً فى السقاية والرفادة إلا أن الهدايا والقرابين التي كانت تقدم للآلهة الموجودة إلى جوار الكعبة كانت تفي بالكثير من حاجة قريش .

ويبدو أن أبـرهة قـد ضاق ذرعاً بـالبيت الحرام فالتمس الأسبـاب لهدمه بـاعتباره مثبت الوثنيـة فى وجه المسيحيـة فى قلب وغرب الجزيـرة العربية ولـذلك سلك السبل التالية :

١ ـ بناء كنيسة فى اليمن تسمى : بالقليس لصرف العرب إليها فى حجهم بهدف حملهم على النصرانية وقد بنيت الكنيسة بأموال حبشية وزينت ببعض المواد الخام من قبل بيزنطة فى ذلك الوقت كما استمد أبرهة العون من النجاشي وقيصر . ففى مكتوب من أبرهـة إلى النجاشي ورد (إني قـد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلهـا لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب)(٥٩) .

كما ذكـر الطبرى : أن أبرهـة بنى كنيسة بصنعـاء بناء معجبـاً لم ير مثلـه بالـذهب والأصبـاغ المعجبة وكتب إلى قيصر يعلمـه أنه يـريد بنـاء كنيسة بصنعـاء يبقى أثرهـا وذكرها وسأله المعونة على ذلك فأعانه بالصناع والفسيفساء والرخام(٦٠) .

---

(٥٩) الطبرى ٢/ ١٣٠ ، والكامل ١/ ٤٤٢ ، والبداية والنهاية ٢/ ١٧٠

(٦٠) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٣١ـ١٣٢

وفي رواية ثانية : أن أبرهة بعد أن غلب على اليمن ورأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج إلى البيت الحرام فسأل : أين يذهب الناس؟ فقالوا ما يأتى هاهنا من الوسائل، قال: والمسيح لأبنين لكم بناءً خيراً منه فبناه . . وأمر الناس فحجوه. فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتألهون ونسكوا له، وكان نفيل الخثعمى يؤرض له مايكره ، فلما كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فقام فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته . فأخبر أبرهة بذلك فغضب غضباً شديداً قال: إنما فعلت هذا العرب غضباً لبيتهم ، لأنقضنه حجراً حجراً وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك ويسأل أن يبعث إليه بفيله «محمود» وكان فيلاً لم ير مثله فى الأرض عظماً وجسماً وقوة فبعث به إليه فلما قدم عليه الفيل سار أبرهة بالناس لهدم الكعبة(٦١) .

وفى البداية والنهاية أن عبد المطلب أراد أن يصالح أبرهة على ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك ، وقد عقب ابن كثير على هذا الخبر بقوله: فالله أعلم أكان ذلك أم لا؟(٦٢) .

٢ - عقد التاج لبعض العرب بعد تنصره وتوجيهه لدعوة العرب إلى النصرانية بناء على رغبة أبرهة ففى تاريخ الأمم والملوك ورد أن بعض العرب أتوا إلى أبرهةيطلبون فضله منهم محمد بن خزاعى بن حزابه الذكوانى ثم السلمى فى نفر من قومه مع أخ يقال له قيس بن خزاعى . . وفى هذا اللقاء توج أبرهة محمد بن خزاعى وأمره على مضر وأمره أن يسير فى الناس يدعوهم إلى حج القليس كنيسته التى بناها فسار محمد بن خزاعى حتى إذا نزل ببعض أرض بنى كنانة وقد بلغ أهل تهامة أمره وماجاء إليه فبعثوا إليه رجلاً من هذيل يقال له عروة بن حياض الملاحى فرماه بسهم فقتله وفر أخوه قيس إلى أبرهة فأخبره فزاد ذلك أبرهة غضباً وحنقاً وحلف ليغزون بنى كنانة وليهدمن البيت (٦٣) .

٣ - قيل إن أمراً مباشراً من قبل النجاشى قد أتى إلى أبرهة لهدم الكعبة قال مقاتل : إن

---

(٦١) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٣٧، ١٣٨ ، والكامل ١/ ٤٤٢ والبداية والنهاية ٢/ ١٧٠

(٦٢) البداية والنهاية ٢/ ١٧٢

(٦٣) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٣١

السبب الـذى جـر أصحـاب الفيل أن فتيـة من قـريش خـرجـوا تجاراً إلى أرض النجاشى فـدنوا من ساحل البحـر وثمة بيعة للنصارى تسميهـا قريش "الهيكل" فنـزلوا فأججـوا ناراً فـاشتروا ، فلما ارتحلوا تـركوا النـار كما هى فى يوم عـاصف فهاجت الـريح فاضطرم الهيكل نـاراً فانطلق الصريخ إلى النجـاشى فأسف غضباً للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة آمراً إياه بذلك(٦٤) .

ويؤكـد جرجى زيدان على البعـد الدينى لهدم الكعبة رابطـاً بين فتح اليمن كنقطة بدء والتوجه إلى مكة كخطوة ثانيـة فيقول : " لقد دخل الأحباش أعواناً فى فتح اليمن ثم مالبثـوا أن تحولوا فاتحين ثم نشأ منهـم جيل جديد استعمـر الأرض واستأثر بها من سنة ٥٢٥ م إلى ٥٧٥ هـــ واستثمر الأحباش أرضـاً كان أجـدادهم قد نزحـوا عنها فى الأزمان القديمة واستـوطنوا الساحل الأفريقى وابتنى أبرهة عامل الـدولة الأكسومية كتدرائية فى صنعاء - عاصمة اليمن اليـوم - تعد أفخم كاتدرائية فى ذلك العصر . . . وعقد الأحبـاش النية على تنصير البـلاد ومزاحمة مكة الـوثنية ومكـة يومئـذ مزار دينى (الحج) فى أمصار الشمال وموارد الحج غنيـة عن البيان . . . ويخيل لنا أن المشرفين على سياسة البلاد من الأحباش أفلحوا فيما نووه من إنشاء مزار دينى فى الجنوب تتوارد إليه القبائل وهو أمـر يجلب الضرر إلى معبد الحجاز وحفظت الأحبار ذكرى هـذه المنافسة الاقتصادية الدينيـة فنقلت أن أبرهة كتب إلى النجاشى يقـول " إنى قد بنيت لك إيها الملك كنيســة لم يبن مثلهـا لملـك كـان قبلك ولسـت بمنته حتى أصرف إليهـا حج العرب)(٦٥) .

ثانياً : البعد السياسى:

يجمع المؤرخون على أن الفـرس والروم كانا فى صراع دائم وحـروب مستمرة وقد جعـلا من شبه الجزيـرة العـربية مسرحـاً ومقياسـا لاختبـار القوة والنفـوذ وبخاصـة الأطراف الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية دون منطقة العمق فى قلب الجزيرة .

أما الطرف الشمالى فقد خضع الجانب الشرقـى منه (مملكة الحيرة) للفرس وخضع

(٦٤) سمط النجوم العوالى ١/ ٢٣٢

(٦٥) تاريخ العرب (مطول) ١/ ٨٣

الطرف الغربى منه (الغساسنة) للروم. وذلك لدرء كل خطر متوقع من سكان الجزيرة على هاتين الدولتين أو إحداهما من ناحية ولتكون كل مملكة مقياساً لقوة الدولة التى تحالفها ضد الأخرى من ناحية ثانية.

وأما الجانب الشرقى لشبه الجزيرة فكان خاضعاً لنفوذ الفرس وسلطانهم دون أن يكون للرومان حظ يذكر فى هذا الجانب حتى اشتهر الخليج العربى الآن فى ذلك الوقت باسم «الخليج الفارسى» وقد ظل ذلك النفوذ ممتداً حتى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم - كما تشير إليه كتب السير حين كتب الرسول صلى اللـه عليه وسلم إلى أمير البحرين وأمراء عمان داعياً إياهم إلى الإسلام أو دفع الجزية(٦٦).

ورد فى تاريخ الأمم والملوك: أنه كان بين «كسرى أنو شروان» وبين «يخطيانوس» ملك الروم موادعة وهدنة فوقع بين رجل من العرب كان ملَّكه «يخطيانوس» على عرب الشام يقال له «خالد بن جبله» وبين رجل من لخم كان كسرى ملكه على عمان والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب يقال له «المنذر بن النعمان» قائده فأغار خالد بن جبلة على حيز «المنذر» فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أموالاً من أمواله. فشكا المنذر الأمر إلى كسرى وطلب منه نصرته عن طريق الكتابة إلى قيصر الروم (يخطيانوس) بحكم الهدنة والعهد بينهما فكتب كسرى كتباً عدة إلى يخطيانوس ولكنه لم يأبه بها. فغزا كسرى بلاد الشام (وكانت خاضعة للروم) فأخذ مدينة دارا ومدينة الرهاء ومدينة منبح ومدينة قنسرين ومدينة حلب وأنطاكية وقامية وحمص ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على ماكان فيها من الأموال والعروض ونقل السبى إلى الرومية وأجرى عليهم الأرزاق وعهد بهم إلى رجل نصرانى ليأنسوا به لحال ملته ويسكنوا إليه.

وأما سائر مدن الشام ومصر فإن يخطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه وضمن له فدية يحملها إليه فى كل سنة على أن لا يغزو بلاده وكتب لكسرى بذلك كتاباً.. (٦٧).

(٦٦) راجع الإصطفاء فى سيرة المصطفى ٣/ ٣٩ـ٤٠

(٦٧) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٢/ ١٤٨ـ١٥٠ بتصرف

ويؤكد حركة الصراع السياسى بين الفرس والروم على جنوب الجزيرة ما ذكره المؤرخون من أن سيف بن ذى يزن حين نشط لتحرير الجنوب من سلطان المسيحية المتمثل فى حكم الأحباش. حرص فى البدء على أن يستمد قوة من قيصر فى بلاد الروم على حكم الأحباش فى اليمن ، فرفض قيصر قائلاً : إنه لا يحسن فى ديننا أن يخرج بعضنا على بعض ، فضلاً على أن الروم لم يكونوا بحاجة إلى نفوذ فى اليمن لأنه كان قائماً أصلاً عن طريق حكم الأحباش(٦٨) فصار إلى ملك الحيرة الذى قدمه إلى عاهل الفرس كسرى أنوشروان المقيم ببلاطه فى المدائن على أمل أن يقوم هذا بنجدته تحقيقاً لحلم فارس فى السيطرة على طريق التجارة عبر البحر الأحمر(٦٩).

ولاشك أن محاولة ابن ذى يزن الاستنصار بأعظم قوتين فى العالم فى هذا الوقت واستجابة الفرس له تعبر عن قيام منافسة بين الروم والفرس للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة إلى الهند. وقصة لجوء يوسف بن ذى يزن إلى كسرى وحثه إياه على فتح اليمن وتحريرها من الأحباش قصة لا تبدو غير معقولة فقد كان من الطبيعى أن تنشأ فى اليمن حركات قومية مناهضة للأحباش. . وقد كان كسرى يعرف عظم ثروات اليمن وكان يتلهف للسيطرة عليها مادام فى ذلك وسيلة يتوصل بها للقضاء على نفوذ الروم السياسي والاقتصادى فى اليمن. كذلك تستبعد ما زعموه من أن الجيش الذى سيره لتحرير اليمن كان جيشاً من السجناء ، فليس طبيعياً أن يستهين كسرى بمثل هذا الفتح إذا كان يحرص كل الحرص على نجاح هذه الحملة(٧٠).

وكسب الفرس كثيراً من ضم اليمن إلى حوزتهم ، فقد أصبحوا يسيطرون سيطرة فعلية على الطريق البحرى التجاري إلى الهند عبر البحر الأحمر كما سيطروا كذلك على الطريق البرى أو طريق الحجاز ولم يلبث الفرس أن توجوا جهودهم بفتح الشام ومصر سنة ٦١٤م وأدرك هرقل أن الفرس أصبحوا أصحاب السلطان الفعلى على سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر وأنهم خنقوا دولة أكسوم الحبشية حليفة الروم(٧١).

---

(٦٨) الطبرى ٢/ ١٤٨ ، الكامل ١/ ٤٤٧ ، ٤٥١ والبداية والنهاية ٢/ ٢٧٧

(٦٩) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ١٧٢ .

(٧٠) المرجع السابق ١٧٤

(٧١) المرجع السابق ١٧٧

وأما دولة أكسوم الحبشية فكانت وكيـلاً غير شرعي تنظر في مصالح بيزنطة وكان نصارى العرب يـوالون البيزنطيين ويتطلعون إلى الحماية والرعـاية من القسطنطينية كما كـان اليهود والـوثنيون والعـرب يلـوذون بالفـرس يطلبون عطف المدائن واستغـاث "سيف" بملك الفرس فأغاثه وأرسل لغوثه ٨٠٠ محارب سنة ٥٧٥م فدحر الأحباش وأخـرجهم من اليمن وكفى البلاد شر حكـامهـا الإفريقيين ، ونشأ على أنقـاض ذلك حكومة مزدوجة وكان الوالى الأسمى فيها (سيف بن ذى يزن) وكان الفرس يتدخلون فى شئون اليمن حتى أخضعوها لسلطانهم إلى أن كان دخول الإسلام فيها(٧٢) .

وهناك من يعتقد بأن الهدف من حملة أبرهة كان هـدفاً سياسياً لأن البيزنطيين كانوا يسعون إلى تـوحيد القبائل العـربية في شبه الجزيـرة تحت نفوذهم ضد الفـرس ويستند هـؤلاء على ما أورده "بـروكويـوس" إذ يقول " أمـا فيما يختص بحمير فقد كـان من المرغوب فيه أن يقيمـوا قيساً زعيمه على معبد ويسيروا جيشـاً منهم ومن المعربين لغزو فـارس ، ولم يكن أبـرهة يـزهـد فى استغـلال مثل هـذه الفـرصة لمد نفـوذه على بـلاد العرب(٧٣) .

وقد ذكر الدكتور جواد على بعض الروايات التى صرحت برغبة الأحباش فى غزو أماكن نفـوذ الفرس فى الجزيـرة بإيعاز من الـروم ، ثم عقب عليها بقـوله : فهل أراد بـذلك سير أبرهـة لفتح مكـة وبقية مـدن الحجاز ليهـاجم من هنـاك العراق وحـدود امبراطوريـة الفرس وليمهد بـذلك الطريق إلى الاتصـال بالروم ، أو إنـه عنى مهاجمة الفرس من مواضع أخرى تقع فى العربية الجنوبية أو سواحل الخليج(٧٤) .

ثالثاً : البعد الاقتصادى:

لقد كـان الطريق التجـاري في غرب شبـة الجزيرة العـربية ذا منـزلة كبيرة في ذلك الـوقت بما يعدل قيمـة قناة السـويس في العصر الحاضر ، حيث التوجـه من اليمن إلى الشام والعكس . على الجانب الشرقي للبحر الأحمر وهناك فـرع للطريق من مكة يتجه

(٧٢) تاريخ العرب (مطول) ١/ ٨٦، ٨٧ .
(٧٣) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ١٧٠ .
(٧٤) المفصل فى تاريخ العرب ٣/ ١٩٧

ناحية الشرق يصل إلى الخليج الفارسى فى ذلك الوقت ثم يتفرع إلى فرعين :

أحدهما : شمالاً حتى بلاد العراق، ثانيهما : جنوباً حتى بلاد البحرين.

وقد أغنى هذا الطريق عن استخدام البحر الأحمر والخليج الفارسي لأسباب ذكرها المؤرخون منها (أن السفن فى ذلك العهد لم تكن تستطيع استعمال البحر الأحمر المملوء بالجزر التى تجعل الملاحة خطراً عليها كما أن شواطئه قليلة الموانىء وأن به كثيراً من الشطوط الضحلة التى كان اقتراب السفن منها أمراً محفوفاً بالمخاطر(٧٥).

ولم تكن السفن كذلك تستطيع استعمال الخليج الفارسى بسبب وجود الفرس على ساحله الشمالى وهم أعداء لسكان حوض البحر المتوسط. وعلى هذا أصبحت المواصلات البرية هى الطريق المهم للتجارة عبر البادية بين الشمال والجنوب ثم بين الشرق والغرب(٧٦).

وقد ذكر أحد المؤرخين أن من أسباب نصرة كسرى لسيف قوله (نظراً للعداء الفارسى البيزنطى ولكون الاحتلال الحبشى لليمن وما يكون وراءه من نفوذ بيزنطى يؤثر تأثيراً سيئاً على الاقتصاد الفارسى من حيث تحويل تجارة الشرق الأقصى إلى أيدى البيزنطيين وحرمان الفرس من الأرباح التى تأتيهم من تجارة التوابل عبر الخليج العربى الفارسى فى ذلك الوقت - إلي المناطق الشمالية ، لوجود منافسين أقوياء إلى جانبهم هذا بالإضافة إلى ما ينجم عن احتلال اليمن من تزايد فى السيطرة السياسية البيزنطية ومن اختلال فى توازن القوى السياسية بين الدولتين العدوتين(٧٧).

لقد كان لمكة أهمية تجارية عظيمة فهى نقطة التقاء لطرق عدة تأتيها من جميع الجهات من اليمن ومن الخليج العربى ومن الحبشة عن طريق البحر الأحمر ومن مصر وفلسطين وسورية وليس المعلوم على وجه التحقيق متى كان منشؤها. إنما الراجح أن موقعها الهام على طريق القوافل التجارية قد جعل منها من غابر الزمن محطة يقيم فيها

(٧٥) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ١/ ١٥٣ نقلاً عن عصور الازدهار فى الجزيرة العربية د/ نقولا زيادة.

(٧٦) المرجع السابق جـ١/ ١٥٣ ونسبة إلى : حياة محمد ص ٧٧ د/ محمد حسنين هيكل ، وقريب منه ما ورد بصفحة ٨٩ الطبعة السادسة عشر ط، دار المعارف ــ مصر.

(٧٧) تاريخ العرب القديم ٨٦

رجال القـوافل أياماً بسبب إمكـان العثور على مـاء للشرب فيها. الأمر الـذى دعا إلى ارتفاع شأنها وإلى تحويلها من محطة تجارية إلى مدينة زاهرة. . لقد تحولت طرق التجارة من جـديـد إلى البحر الأحمر منـذ استـولى الـرومان على سـوريـة ومصر قبيل مستهل النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلادى وسيطروا على تجارة هذا البحر من خليجى العقبـة والسويس. بعـد أن قضوا على دولـة الأنبـاط وجعلوا محطتهـا التجاريـة تحت سيطرتهم وعلى الدولة التدمرية إذ دمروهـا فقضوا بذلك على حياتها التجارية ، عندئذ بدأت سفن الرومان التجارية تمخر عباب البحر الأحمر فى طريقها إلى الشرق الأقصى ، وتمر بالثغور الحجـازية فى ذهابها وإيابها ولم تفقـد المحطات التجارية البريـة ومنها مكة أهميتهـا. بل زاد نشـاطهـا بعـد أن انحطت دول الجنـوب العـربي وتخلت عن دورهـا التجارى المرموق فاستلمت مكة وأهلها مقـاليد التجارة فى شبة الجزيرة العربية لا سيما وأن العلاقـات التجاريـة بين قريش وبين الأحبـاش الذين احتلـوا اليمن وبينهم وبين البيزنطيين الذين حرضوهم على ذلك كانت حسنة(٧٨).

إن الازدهار التجارى الـذى تصيبه شبه حزيرة العـرب بعامته ومكة بخـاصة كان مرتهناً بطـريق الهند فبحسب أن يمر الطريق إلى الهنـد من الشمال عبر وادى الرافدين - فارس - أفغانستان أو من الجنوب والغرب عبر شبه جزيرة العرب والخليج العربى - الفارسي في ذلك الوقت - واليمن يكون العرب إما فقراء أو أغنياء(٧٩).

والـواقع أن مكـة قد استفـادت من وقـوعهـا على طريق الهنـد وذلك أن القـوافل التجاريـة الآتية من اليمن ببضـائع الهند والذاهبـة إليها كانت تمر فيهـا بوصفهـا محطة تجارية لابد لها من النـزول فيها كما أعان على ازدهار مكة وارتقائهـا من محطة تجارية إلى مدينة عامرة تدهور العلاقـات بين حكام فارس وحكام بلاد الشام البيزنطيين ونشوب حروب طويلـة بين الطرفين فى القرنين اللذين سبقا ظهـور الإسلام مما أدى إلى تعطيل التجارة بين بـلاد الشام والهند عبر إيران وأفغـانستان وإلى انتقال النشـاط التجارى إلى شبه جزيرة العرب وبخاصة ساحلها الغربى على البحر الأحمر فاتجه المكيون إلى التجارة

(٧٨) تاريخ العرب القديم ١٦٨ ، وقد سمى الخليج الفارسى فى ذلك الوقت بـ" الخليج العربى" سهواً
(٧٩) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ٢٣٨ نقلاً عن دير منغم ٢٧

وانصرفوا إليهـا بكليتهم لاسيما وأن سقوط اليمن فى يـد الأحباش قـد أدى إلى خروج مقاليـد التجارة من أيدى اليمنيين وانتقـالها بطبيعة الحال إلى أيـدى المكيين . . . الذين أسهموا فى التجارة العالمية فتاجروا مع مصر والحبشة عبر البحر الأحمر عن طريق ميناء الشعيبة الذي كان ميناء لمكة فى العهد الجاهلي(٨٠) .

وقد اعتمـد الروم البيزنطيـون على تجارة مكة فى كثير من شئونهم ووسـائل ترفهم لاسيما الحصول على الأقمشة الحريرية المزركشة الموشاه ولم يكن بوسعهم الاستغناء عما يأتونهم به . وقد ذكـر بعض مؤرخى العرب بأنه كان للبيـزنطيين بيوت تجارية فى مكة يستخدمونها للشئون التجارية والتجسس على أحوال العرب(٨١) .

ولقد أدرك الرومـان أهمية بلاد الحجاز فأخذوا يتطلعـون إلى السيطرة على الطريق التجاري إلى الهند عبر البحـر الأحمر وذلك بالاستيلاء على اليمن فـاستغلوا تبعية شمال الحجاز لـلأقباط وسيروا حملتهـم بقيادة «اليـوس جالوس» استعـانوا فيهـا بفرقـة من الأقبـاط عدتها ألف مقـاتل نبطى كما استعانـوا بـوزير الأنبـاط ويدعى(سليـوس) أو (صالح) ليكون مـرشداً لهم ودليلاً عبر مفاوز الحجاز ثم تجددت منـذ أيام (جستنيان) فكرة السيطـرة على الطريـق التجارى إلى الهند ويـذكر (بـروكبيوس) أن ملـك الحبشة المسيحى كـان يسعى لفرض حكـم مسيحى على بلاد حمير الـوثنيـة وتدخل جستنيـان بقصد تـوحيد جميع الأقطار المطلة على البحـر الأحمر ضد فارس للسيطرة بمسـاعدتهم على حـرير العين ولكن فـارس التى كنت تسيطـر على وادي الرافـدين ومصبهما ظلت تحتفظ بمفتاح المواصلات فى آسيا الوسطى على الـرغم من المحاولات الفاشلة التي قام بها البيزنطيون لتحطيم الستار الحديدى . ومع أن البيزنطيين أثبتوا نجاحهم فى السيطرة على الطريق البحـرى عبر البحر الأحمر بفضل حلفائهـم الأحباش الذين استـولوا على اليمن فإنهم أخفقـوا عندمـا حاولـوا بسط نفوذهم على الحجـاز عن طريق الأحبـاش كذلك . وفشلت حملة أبرهة فشلاً ذريعـاً كما فشلت حملة «إيليوس جالوس» قبل ذلك بقرون(٨٢) .

(٨٠) تاريخ العرب القديم ٢٣٨ نقلاً عن جواد علي ٤/ ٢٠٣

(٨١) المرجع السابق ٢٤١ ونسبة إلى الأمالى ٣/ ١٩٩

(٨٢) تاريخ العربي فى عصر الجاهلية ٣٤٢/ ٣٤٣

وكانت قريش تفرض الإتاوات على التجار الغرباء وعلى العرب الذين لا يرتبطون مع قبائل قريش بحلف ومن بين الضرائب التى كانت تفرضهـا ضريبة العشور فكانوا يعشرون من يدخل مكة من تجار الروم. وتشير المصادر العربية إلى وجود عدد من تجار الروم فى مكة نزلوها وأقاموا فيها واتخذ بعضهم موالى لأشراف مكة مثل نسطاس مولى صفوان بن أمية ويوحنا مولى صهيب الرومى وصهيب الرومى نفسه وكان مولى لعبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب. . وكان بمكة قبطاً من مصر ، فقد ذكروا أنه كان يقيم فيهـا نجار قبطى ، وكـان من الروم من أنـدس بين تجار مكة بغيـة التجسس على العرب وتسقـط أخبار الفـرس وصلاتهم بالعـرب كما توافـد على مكة تجار مـن الروم والفرس سـاكنوا المكيين وتحالفـوا مع أثريائهم ومنهم من أقـام بمكة نظير دفع جـزية لحمايته وحفظ أمواله وتجارته ، وكان تجار بـلاد الشام يجلبون القمح والزيت والخمور ومصنوعات الشام إلى مكة(٨٣) .

ويبدو أن اتصال تجار مكـة بالحبشة والصومال كان يتم عن طـريق آخر غير طريق اليمن البرى هو طـريق البحر فقـد كان لمكـة ميناء على البحـر الأحمر يسمى الشعيبة ، فكـان تجار مكـة يستخدمـون هـذا الميناء والموانىء القريبـة منـه لـلاتصال بـالحبشـة والصومال ومصر أيضاً. . ومن المعروف أن قـريشاً لم تكن تملك سفناً فى البحر الأحمر والأرجح أنهم استخدموا سفناً كانت تعمل لحسابهم(٨٤) .

أبرهة يسير لهدم الكعبة

تبين لنـا مما سبق منـزلة مكـة من الناحيـة السيـاسية والاقتصـادية بـالنسبة للـروم والأحبـاش والفرس كـذلك. إلا أن نأى مكة عـن بلاد فـارس وقربها من الحبشـة فى اليمن ومقابلتهـا لمصر - الخاضعة لسلطان الروم - على شـواطىء البحر الأحمر وإرادة الروم السيطرة على البحر الأحمر بشاطئيـه في مقابل سيطرة الفرس على الخليج الفارسي بشاطئيـه كل ذلك هو الذي دفع الأحبـاش إلى محاولة الاستيلاء على مكة مـدفوعين - قبل ذلك كله - بالدافع الدينى.

---

(٨٣) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ٣٦٠

(٨٤) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ٣٦٤ نقلاً عن أحمد ابراهيم الشريف مكة والمدينة ص ٢١ .

ويبدو من الجيش الذي ساقه أبرهة وطلبه المدد من النجاشي وتخصيص الفيلة بالذكر على وجه الخصوص أن الأمر قد أخذ مأخذ الجد من قبل أبرهة حتى يحقق الأمل الذى أعلن عنه سابقاً للنجاشي «إني بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب» .

وأثناء توجه أبرهة إلى مكة خرجت بعض القبائل لحربه حتى تصده عن البيت إلا أن قوة جيش أبرهة قد فتكت بها ومكنت أبرهة من الاستيلاء على كثير من أمتعتها(٨٥) .

ويقال أن أبرهة قد تخوف من الاستيلاء على البيت عنوة لعلمه بمنزلة هذا البيت عند الله فحرص على أن يكون الاستيلاء سلماً ولذلك أرسل إلى حماة هذا البيت كى يسلموه دون قتال ، وكانت المفاجأة أن عبد المطلب قد عدل عن إجابة أبرهة بشأن البيت الحرام إلى طلبه منه أن يرد عليه إبله التى استاقتها خيله حين السير إلى مكة مما أثار استغراب أبرهة حتى إنه أنكر على عبد المطلب ذلك قائلاً لترجمانه قل له كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى . أتكلمنى فى مائة بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لاتكلمنى فيه . فرد عليه عبد المطلب قائلاً أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه(٨٦) .

يقول الشيخ أبو زهرة : كان هذا الكلام السهل اللين يخفى فى نفسه إنذاراً شديداً لرجل كتابى نصرانى ، لأنه بهذا الكلم اللين ينبهه إلى أنه لا يحارب أحداً من أهل مكة وإنما يحارب الله ويهدم بيتاً بناه بأمر الله إبراهيم - عليه السلام - . . . ففى هذا الكلام تهديد بحرب لم يألفها ولم يعرفها وهى حرب الله وحرب أبى الأنبياء(٨٧) .

ويبدو على هذه الرواية سمة الوضع والتكلف لإعلاء شأن مكة والحرم عند أبرهة مع أن مقدمات الإعداد والاستعداد لا تدل على أدنى قدسية لهذا البيت فى نظر ذلك النصرانى . فلقد أتى بالخيول والبغال يمتطيها الجنود باعتبارها من وسائل الحرب

---

(٨٥) الكامل ١/ ٤٤٢ والبداية والنهاية ٢/ ١٧٠

(٨٦) الكامل ١/ ٤٤٤ والبداية والنهاية ٢/ ١٧١

(٨٧) خاتم النبيين لأبى زهرة ١/ ١٣١

وأتى بـالفيلـة لهدم ذات الحرم كما أن الروايـة التى ذكـرهـا ابن كثير ومفادهـا أن عبـد المطلب أراد أن يصالح أبرهة على ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى[٨٨] تبطل كون الرغبة إلى السلم أقرب منها إلى الحرب .

نهاية الحملة وأثرها على النصارى فى غرب الجزيرة

لقد شاءت الأقـدار أن يكون نصر الله لأهل مكة على الأحبـاش على غير ماجرت به العـادة عند العرب بمثل ما كـانت الفيلة فى المعركـة تمثل سلاحاً لم يعرفـه العرب فى ذلك الوقت ولا قبل لهم به . وقد صور القرآن الواقعة بدءاً ونهاية أبلغ تصوير من باب إظهـار المنـة على الـرسـول ﷺ وعلى العـرب قـال تعـالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ » وهنـا تذهب النفس كل مـذهب فى المقارنـة بين عظم الفيل وزناً وقوةً ورهبـةً وبين ضآلة الطير وضعفـه . . إلخ إنها قدرة الله .

وبهذا يتبين لنـا أن السلاح الـذى هـزم به أصحـاب الفيل كـان خارجـاً عن دائرة المألوف وأن الهلاك كـان بصورة غير معهودة . سواء أكـان الهلاك بالجدرى[٨٩] أم بذات الحجارة وما استودع الله فيها من قدرة على إهلاك من أصابته .

ولكن الذى لا خـلاف عليه أن أهل مكـة لم يستخدموا السيف فى هـذه الغزوة ولم يـواجهوا الأحبـاش لضعف قـوتهم وقلة ذات يـدهم ولتقـدم أسلحة الأحبـاش على أسلحتهم مع إيمانهم بأن الحرب حرب صليبية ضـد الله وضد بيته بدليل مـا أنشده أبو طالب ، ومن قصيدته :

لا غلبـــــن صليبهـــــم	ومحالهم أبـــــــداً محالـــك
وانصر على آل الصليـــــب	وعـــابـــديـــه اليـــوم آلك[٩٠] .

(٨٨) البداية والنهاية ٢/ ١٧٢
(٨٩) سمط النجوم العوالى ١/ ٢٣٢ وتاريخ العرب فى عصر الجاهلية ١٦٨ وابن هشام ١/ ٥٦ وابن سعد ١/ ١٣٢٢
(٩٠) سمط النجوم العوالى ١/ ٢٣٠ وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٥ والبداية والنهاية ٢/ ١٧٣ .

أثر الهزيمة فى مكة (للأحباش) على النصرانية :

١ ـ كانت نتائج تلك الهزيمة إيجابية لأهل مكة بكل ما تحمله الكلمة من معنى حيث عظم شأن الحرم وشأن قريش وشأن عبد المطلب وشأن مكة ، وفشا الأمر عند العرب أجمع فازدادوا تقديراً وتعظيماً لحرمة البيت .

٢ ـ بقى النصرانى فى مكة على نصرانيته والوثنى على وثنيته والحنيفى على حنيفيته ، حيث انتفى عامل الإكراه ، ولم يستطع الأحباش صرف العرب للحج إلى القليس باليمن .

٣ ـ ضعف شأن الأحباش بهذه الهزيمة وسقطت هيبتهم وازدرى الناس بهم وخاصة بعد وفاة أبرهة الأشرم وتولى يكسوم ابنه .

٤ ـ تولدت روح التحرير لدى أهل اليمن وتجرأوا على طرد الأحباش بعد حكم دام نصف قرن تقريباً . ففي سنة ٥٧٥ م - أى بعد هزيمة الأحباش فى مكة بأربعة أعوام ، استطاع سيف بن ذى يزن أن يلتمس الأسباب لطرد الحبشة من اليمن فلما يسرت له الأسباب حاربهم وانتصر عليهم وقتل معظمهم واستبقى القليل منهم خدماً وعبيداً إلا أنهم غدروا به فى رحلة كان يقوم بها وقتلوه .

٥ ـ علم الروم بأمر الغزو ونتائجه ، وقد ترك العلم بهذا النصر فى أنفس المستشارين لحكام النصارى أثراً كبيراً فى الخوف من حرمة هذا البيت بعد أن تأكد لهم أن تبع الحميرى مالك اليمن - حين أراد غزوه وهدمه صرفه الله عنه حيث أظلمت الدنيا عليه فيه ثلاثة أيام لم ير فيها شيئاً فظهرت حرمة البيت له فكساه وتركه(٩١) . كما أن الأحباش حين أرادوه بسوء كانت عاقبتهم أسوأ من ذى قبل ، ولذلك عندما رجع عثمان بن الحويرث إلى قيصر يشكو إليه ما وجده من أهل مكة وامتناعهم عن قبول النصرانية ، كتب قيصر له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش فعزم على ذلك فكتبت إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لما رأوه من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل . فكساه ابن جفنة قميصاً مصبوغاً مسموماً فمات من سمه(٩٢) .

---

(٩١) البداية والنهاية ٢/ ١٦٤

(٩٢) البداية والنهاية ٢/ ٢٤٣

الآثـــــار

استطاع النصارى أن يدخلوا المسيحية إلى شبه الجزيـرة العربية إلا أن وجودها كان متفاوت الآثار ، فبينما دانت بعض البلـدان في الشمال بالنصرانية كالغسـاسنة والمناذرة والرهـا ونصيبين وإربل وسلوقيـة وجدنـا من شرق الجزيرة من يـدين بها كالبحـرين وعمان ومن جنوبها اليمن ونجران وعدن .

كما وجـدنا بعض القبـائل كذلك مثل تغلب وبطـون بكربن وائل وطيء ودومـة الجندل تعتنقها ومن مشاهير العرب من دان بها وقد أشار (لويس شيخو) فى موسوعته (شعراء النصرانية فى الجاهلية والإسلام) إليهم ، وإن وجه بعض النقد إلى ما كتبه هذا المستشرق وينبغى أن لا ننسى أن المسيحية كانت تحل محل بعض الديـانات وأحياناً يتم الجمع بين المسيحيـة والوثنية لـدى الشخص الواحـد . ويكفى أنها عرفـت في صدارة المعتقدات التى وجدت فى شبه الجزيرة كالوثنيـة واليهودية وعبادة الكواكب والملائكة وبعض الظواهر الطبيعية حتى كان الإسلام الذى طهر شبه الجزيرة من كافة المعتقدات إلا التوحيد الخالص لله رب العالمين .

أهم نتائج البحث

١ ـ لشبه الجزيرة أهمية بالغة عبر التاريخ من ناحية الموقع جعلت القوتين المعاصرتين لها قبل الإسلام تتطلعان إلى السيطرة عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

٢ ـ يؤمن النصارى بعالمية المسيحية وما لم نتعامل معهم على هذا الأساس فسوف نخسر الجولات الدائرة معهم.

٣ ـ نمت إرادة إخضاع شبة الجزيرة للدولة الرومانية المسيحية فى القرن السادس على وجه الخصوص وسلكوا من أجل ذلك سبلاً عدة منها (الغزو - الأحلاف- المنصرين).

٤ ـ كانت الرغبة فى تطويق شاطىء البحر الأحمر نصب عين الدولة الرومانية فى هذه الفترة كرد فعل لتطويق الفرس لشاطىء الخليج العربى (الفارسى فى ذلك الوقت).

٥ ـ كانت النصرانية فى شبه الجزيرة خاضعة من طرف خفى - للنصرانية فى بيزنطة. فضلاً عن حماية قيصر الروم للمسيحية فى شبه الجزيرة وبخاصة منطقتى الشمال والجنوب.

٦ ـ لم يستخدم الرومان فرداً من بلادهم فى الحروب التى تمت فى اليمن أو غزو مكة وإنما استعانوا بالأحباش ومن قبل من العرب واكتفوا بالدعم المادى فقط.

٧ ـ لم يقبل الرومان نصر الوثنين على المسيحيين فى تلك الديار بمثل مافعل قيصر مع سيف بن ذى يزن قائلاً له : ليس حسناً فى ديننا أن يخرج بعضنا على بعض.

٨ ـ فشت النصرانية فى كثير من مناطق شبه الجزيرة وبخاصة الشمال والجنوب والشرق.

٩ ـ لمكة منزلتها الدينية عند الله وعند الناس (العرب قبل الإسلام). وقد كان لهزيمة أبرهة كبير الأثر فى تحرك أهل اليمن لطرد الأحباش من بلادهم.

١٠ ـ كل فصل فى معالجة القضايا السابقة يجعلها قاصرة ، فلا إمكانية لفصل الباعث السياسى والاقتصادى عن الباعث الدينى حين الحديث عن فتح اليمن (غزوها)، أو إرادة (غزو مكة).

١١ ـ الإسلام هو الذى وحد سكان شبه الجزيرة بعد فرقة عبر تاريخها وحررها من النصرانية ورد عادية الفرس فضلاً عن إكسابها مكانة فوق مكانتها وقدراً فوق قدرها.

أهـــم المراجـــع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

١ ـ ابن الأثير : محمد بـن محمد بن عبـد الكـريم الشيبانى الكـامل فى التـاريخ ط دار صادر بيروت ١٩٧٩ م .

٢ ـ ابن الربيع الشيبـانى عبد الـرحمن بن على بن محمـد حدائق الأنـوار في سيرة النبى المختار ط إدارة إحياء التراث الإسلامى - قطر ١٩٨٢ م .

٣ ـ ابن جرير الطبرى محمد بن جرير الطبرى تاريخ الأمم والملوك - ط دار المعارف - مصر ١٩٦٠ م .

٤ ـ ابن كثير أبو الفدا عماد الدين بن كثير البداية والنهاية - ط مكتبة المعارف - بيروت ط ٤ سنة ١٩٨١ م .

٥ ـ ابن هشام السيرة النبـويـة ط ٣ دار إحياء التراث العـربى بيروت - ١٩٧١ تحقيق الإبيارى .

٦ ـ أبو زهرة الإمام محمد أبو زهرة خاتم النبيين - مؤسسة دار العلوم - لحساب إدارة إحياء التراث الإسلامى قطر .

٧ ـ أحمد شلبى (دكتور) مـوسوعة التاريخ الإسلامى - مكتبـة النهضة المصرية ط ١١ سنة ١٩٨٤ م .

٨ ـ تـوفيق برو (دكتـور) تاريخ العـرب القديم ط - دار الفكـر - دمشق ط ١٠ سنة ١٩٨٤ م .

٩ ـ جرجى زيدان العرب قبل الإسلام ط دار مكتبة الحياة - بيروت .

١٠ ـ سيد عبـد العزيز سالم (دكتور) تاريخ العـرب فى عصر الجاهلية ، ط دار النهضة العربية - بيروت سنة ١٩٧١ .

١١ ـ عبد الملك بـن حسين بن عبد الله سمط النجوم العـوالى فى أنباء الأوائل والتوالى - ط السلفية مصر سنة ١٣٧٩هـ

١٢ ـ فيليـب حتى تاريخ العــرب (مطـول) ط ٣ سنـة ١٩٦١م. دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع.

١٣ ـ محمد الفيومى (دكتور) فى الفكر الدينى الجاهلى - ط. دار القلم - الكويت ط٢ سنة ١٩٨٠ م.

١٤ ـ محمـد نبهان الخباز الاصطفاء فى سيرة المصطفى - إدارة إحيـاء التراث الإسلامى - قطر سنة ١٩٨٦ م.

١٥ - محمد بن يـوسف الصالحى الشامى سبل الهدى والرشـاد فى سيرة خير العباد - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر ١٩٨٤ .